وأخيراً أصبح « للجَمالِ » بيننا مكان

وكأنني أرى وجوههم وقد امتقعت، وعيونهم وقد جحظت، وحناجرهم وقد حشجرت، وكأنني أرى تقطيب جباههم، وانتفاخ أوداجهم، وتهدج أصواتهم وهم يحوقلون ويستغفرون، ويظنون أن ستفعل بهم فاقرة، بعد أن انحبست أنفاسهم من هول ما يسمعون وما يرون، فهل ترى لهم من باقية؟!

أولئك، الذين قتلوا فينا الجمال سنين عدداً، وجعلوا منا مجتمعاً كئيب المنظر، متخشب الملامح والمشاعر والأفكار، مجتمعاً من الصخور التي تمشي على الأرض، قتلوا فينا رهافة الحس ونبل التسامح ومعاني الجمال، أصبح سلوكنا وعراً كقسوة وجوهنا وجغرافيتنا، أصبحنا مجتمعاً ذكورياً خالصاً في كل شيء، مجتمعاً يتناطح أقرانه في أقرب فرصة تافهة، كوعول جبلية لم تجد تعبيراً حتى للغزل سوى النطاح، لا مكان بيننا لمفردات الفرح والبهجة والأناقة والرقة والسلام والوئام، مجتمعاً يطمح للموت أكثر من طموحه للحياة، ويمجد الحرب ويستعيذ من الحب، لقد جففوا عبر خمسين سنة ما تبقى من منابع الجمال في الجزيرة العربية.

ومثلما جفت عيون الخرج والأحساء وبيشة وينبع، ومثلما جف هدَّاج، ومثلما تخشبت أشجار العرعر على سفوح جبال السروات، فقد جفت أيضاً عيون عبلة وعزة وليلى، جفت منابع الصبا والأنوثة في أعطافهن، وتحجرت أصواتهن الناعمة، وتخشبت ظفائرهن فوق أكتافهن، وذبلت قلوبهن حتى عادت كالعرجون القديم، وكأنهم قد تآمروا مع الشمس والرياح والرمال لمحق أي أثر للحياة وأي أثر للجمال وأي أثر للنساء!

obeikandi.com

واليوم ضربتهم صواعق الغيث وأصابتهم بروقه، وتساقطت حبات المطر فوق هاماتهم الفارغة، اليوم غُمست لحاهم الكثة بماء الحياة رغماً عن وجوههم، وتمعرت جباههم بعطر الخزامى وهم لا يشتهون، اليوم قُذفوا بوابل من الورود لعلهم يعقلون، إن أعداء الحياة والجمال يجرّون اليوم أذيال الهزيمة ويتجرعون مرارة الخيبة، بعد أن لفحتهم نسائم السلام والمحبة وهم لا يشعرون!

أنا يا سادة لا أنظر لمشاركة المرأة في مجلس الشورى والمجالس البلدية وأماكن العمل المختلفة كمقعد إضافي تم تخصيصه للنساء في حافلة البطالة، أو كبذخ حضاري، أو كمتطلب سياسي أملته الظروف الظاهرة أو الباطنة، وإنما أنظر إليه كبعث جديد للحياة بيننا، وكماءٍ بدأ يجري في عروقنا، وكقبرٍ لحقبةٍ غبراء من تاريخنا، وكبراعم للأمل بدأت تنمو في صحراء مشاعرنا، إنني أنظر للبعيد البعيد، الذي يرونه بعيداً ونراه قريباً، أنظر لأفكارنا حين تتجمل وتتزين وتتأنق، ولحياتنا حين يغسلها النقاء، أنظر لصخور ذواتنا حين تتهشم أمام نظراتهن الحريرية الساحرة، ولشوكة فحولتنا حين تنكسر تحت وطأة أقدامهن الناعمة، أنظر للتاريخ وهو يصحح مساره، وللأمور حين تأخذ نصابها، وللنظام حين يُجبرُ كسره، وللوحوش حين تخلع أنيابها، إنني أنظر لأثر النساء في أعماقنا، أتلمسه، أشعر به، أشمّ عبيره وعبيرهن، إنني أنظر لأثرهن في بيوتنا وفي شوارعنا، في مدننا وأحيائنا، وفي نفوسنا، أنظر من خلالهن للجمال، مظهراً ومخبراً، أنظر لرهافة القلوب، ورقة المشاعر، وسلامة النفوس، ودقة الذوق ورفعته، ليصبح غدنا أجمل بحضورهن الزاهي والأنيق، بحضور نصفنا الثاني الذي افتقدناه طويلاً، والذي سيتوهج كالشمس لينير دواخلنا المظلمة، ويهب كالنسمة ليرقق جفاء سلوكنا المتصحر، ويعيد ترتيب حياتنا، ورجولتنا، شوارعنا، وأسواقنا، واجهات منازلنا، وحدائقنا، بحارنا، وأرضنا وسمائنا، ويضع الألوان من جديد فوق وجه مجتمعنا الرمادي، ويعلق شرائط الفرح والبهجة على خريطة وطننا من جديد.

يا إلهي أيتها الأمهات والأخوات، يا إلهي يا بناتي، يا إلهي أيتها الزوجات

obeikandl.com

والحبيبات، كم ظلمناكن، كم نسيناكن، كم أطفأنا شموع وجودكن، وكم استعذنا من شروركن، وكم أدمينا قلوبكن، وكم وأدنا فيكن الفرحة، وكم شنقنا الحب في قلوبكن بحبال الشك والريبة والرجولة المفتعلة، كم همشناكن، وكم آذيناكن، وكم سلبناكن حقوقكن، لنظفر وحدنا بهذه الحياة الخشبية البلاستيكية البائسة التعيسة، فتعالين من جديد، تعالين لأحضان أبنائكن، تعالين لأحضان آبائكن، لأحضان أزواجكن، تعالين لنجهش بالبكاء سوياً على ما فات، ونعتذر لكنَّ وللزمان، ونعلن الحب من جديد، تعالين كالفراشات كالورود كالنسمات، تعالين كالعطر كالنهر كانبلاج الصبح في الظلمات، تعالين كماء الحياة، لنحلق في السماء ونحتفل بأننا أصبحنا مجتمعاً طبيعياً، بل مجتمعاً يقترب من أن يكون طبيعياً فقط، ولا نريد أكثر من ذلك!

openkandl.com